المجلس وُجِد للكلام والكلام للجميع

****

بقلم: نافل علي الحربي

لم يكن المجلس مجلساً لو لم يكن المراد منه الكلام فيه، من قبل الجالسين، وكان من واجب الجالسين في المجلس أن لا يحتكرون أهمية الكلام لأنفسهم دون غيرهم من الجالسين، ولكن للأسف الشديد أكثر من يجلسون في المجالس لا يترك المجال لغيره من الحاضرين، ليشاركه في الكلام، ويقول ما في نفسه، سواء كان ما يقوله مشابهاً لما سمعه من أحد الحاضرين، أو مختلفاً عنه ولكنه يرى لما يقوله مجالاً مناسباً، وقبولاً عند بعض الجالسين، لو لم يكن كلهم ..

والملاحظ ان بعض كثيري الكلام بالمجالس، لا يتركون الفرصة تسنح لغيرهم ليتكلم ويقول ما يعجبه من الكلام، ولو قلت له أترك فلان يتكلم لقال كلام فلان لا أحبه، لأنني أعرف أنه سيقول كيت وكيت وهذه علوم لا داعي للكلام فيها، أما بحجة أنها من الماضي، أو لأنها دينية ليس المكان مناسباً لها، أو لأنها مواضيع ليست من تخصصه أو لا يفهم فيها شيئاً ..

والحقيقة ان الكلام من حق كل من حضر في المجلس، وليس من حق من تعود الكلام فيه لوحده فقط، لأن الكلام وجد لحصول الفائدة، والفائدة لا تخص أحد دون أحد، ومن أهم عناصر الفائدة، ان يستفيد الجميع من حضور المجلس حتى ولو كان التعود على ممارسة المشاركة بالكلام، والتعوّد عليه، وقبول ذلك من جميع الحاضرين بخلق سمح رفيع ..

وبما انني أقول هنا المجالس وجدت للكلام إلا انني لا أذكر إلا ذم كثرة الكلام، فكثر الكلام مذموم، ولكن ليس الكلام كله مذموم، وانما المذموم هو الهذر، الذي يأتي من شخصٍ بعينه غالباً، ويكرره في كل مرة، يجلس فيها بالمجالس، والمثل يقول: (من طال لسانه كثرت عثراته) ..

ولهذا يجب علينا جميع ان نعلم أن عدم افساح المجال لكل من حضر مجالسنا

ظلم من قبلنا لمن حضر، وذهب منها ولو لم يقل ما عنده من كلام، ولم نترك له المجال ليشاركنا في أحاديثنا التي ربما لا تكون أفضل من أحاديثه، التي ؤدها في نفسه، وتركها تموت كمداً، لعدم وجود فرصة ليخرجها لترى النور .. وقد تطرق الكثير من الشعراء إلى ذم من يستولي على مجال الكلام، ويسئ استخدامه والتعامل فيه، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر فهاد بن مسعر العاصمي بقوله :

والله ما استانس وينساح بالي الا ليا من قام يزجر فحلها
واشوف حيران النياق الغوالي تدرج ونار الربع يوضي شعلها
في مجلس والربع ربع رجالي والسالفه وان جات محدٍ شقلها
ان جاك خطو السهدلي السدالي خله يولي ما على النفس ولها
تراه ماينفعك في كل حالي لا قابل الكبد العذيه دبلها
وجهه عساه لمظلمات الليالي ونفسه عسى ربي يعجل بأجلها
ترى السوالف ياذهان الرجالي تسمج ليا عرضت على غير اهلها

ومعنى كلامه: انه لا يستأنس للمجلس، حين يوجد فيه من يقطع كلام الآخرين، عندما يتكلم أثناء كلامهم، وان وجد أحد من هذا النوع، والذي من عادته ان يستولي على مجال الكلام، فدعه أيها المخاطب، المستمع لهذه القصيدة، ولا تتابع كلامه، فإن هذا المكثر من الكلام لا يفيدك بأي حالٍ من الأحوال، ومن عادي انه لا يهمني هو ولا كلامه، حين يكون المجلس مجلس ربعي، الذين أطيب نفساً بوجودهم . ثم أنى بالبيت الأخير، وهو بيت يجوز ان يضرب مثلاً وحكمة، فيما يدل عليه، وهو قوله:

ترى السوالف يا ذهان الرجالي تسمج ليا عرضت على غير اهلها

أي: أعلموا أيها الرجال الأذكياء ان ليس كل شخصٍ يصلح ان تحكى عليه سوالف الرجال الأخيار الطيبين، لأنه ليس من أهلها، ولا تناسب ذوقه .

وللشاعر الشيخ تركي ابن حميد، الأبيات الآتية، من ضمن قصيدة له طويلة:

أنا يعدا لي ولو في جلاس هراجة المجلس اقعودِ مهانيع
للي لهم هرجٍ ومرجٍ ووسواس في ساقة الأجواد همز وترتيع

أي من ما جرت عليه العادة ان من أجلس في مجلسه، يخصني في أول فنجال يساق من القهوة، رغم وجود من يستولون على الكلام في المجلس، حتى كأن الكلام فيه خاصٌ بهم ٠

ويعني بذلك انه شخص وله الأفضلية بالقهوة، ولا يحب من لا يترك المجال لغيره في الكلام، ليشاركه فيه بما عنده، وان من إساءات هؤلاء النوع من الأشخاص الذين يكثرون الكلام أيضاً، انهم يقعون عادةً بأعراض الناس ويغتابونهم ٠